تمهيد

قبل الولوج إلى الحديث عن مفهوم "تحليل الخطاب"، وجب علينا لوقوف عند بعض المفاهيم الأساسية التي يتكون منها مجال "تحليل الخطاب" واللسانيات الحديثة ومكانة اللغة فيها.

1. اللغة/ Langage

تناولت اللسانيات الحديثة اللغة موضوعا جوهريا للدّراسة والتحليل، كونها الأداة والوسيلة الأساسية في عملية التواصل، وقد ركّزت اللسانيات البنيوية على دراسة بنية اللغة دراسة موضوعية وعلمية، إذ اعتبرها "دي سوسير" (De Saussure) نظاما من " الدلائل يعبّر عما للإنسان من أفكار، وهي شبيهة بالكتابة وبالفبائية الصم والبكم، وبالطقوس الرمزية وصوّر وأداء السلوك بالإشارات الحربية وغيرها، إلاّ أن اللغة أهم هذه الأنظمة جميعا" (دي سوسير، 1985، ص 37).

ويرى " بينفينست" (Benveniste) أنّ اللغة هي النظام الوحيد الذي تتحقق دلالته على البعدين السيميائي (semiotics) والدلالي (semantics)، لأنّ اللغة تشكّل المحور الأساس في الحياة الاجتماعية وتحقق التفاعلات التي ينتجها الإنسان عن طريق المنطوق والمسموع والمكتوب.

فاللغة عند "ابن جني" و"ابن منظور" هي أصوات وكلمات يعبّر بها كل قوم عن حاجاتهم، وهي نظام من الوحدات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، وهي ظاهرة متأصلة في المجتمع، وعليه اللغة هي ذلك المخزون الذهني الذي يستعمله النّاس من أجل التواصل، ويؤكّد ذلك "ابن خلدون" بقوله أنّ اللغة هي بمثابة ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان والألسنة المختلفة التي اصطلح وتواضع عليها النّاس مثل: العربية، والفرنسية، والانجليزية، والألمانية، وغيرها.

2. اللسان/ الكلام Parole / Langue

يعود الأصل في الوجود إلى اللغة المنطوقة، حيث يسبق الكلام المكتوب من حيث الترتيب، فالكلام هو الذي يجسّد اللغة المكتوبة، " وإنّما نتعلم لغتنا الأولى بفضل الاستماع إلى الغير"، وعلية الكلام هو تأدية فردية للسان الذي هو بمثابة رصيد لغوي يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد، ويتمثّل هذا الرصيد اللغوي في النظام النحوي المشترك بين الأشخاص، ويتفاوت استعماله من شخص إلى آخر، فبفصلنا اللسان (langue) عن الكلام(parole) نفصل في الوقت نفسه، ما هو اجتماعي عن ما هو فردي، وما هو جوهري عما هو عرفي.

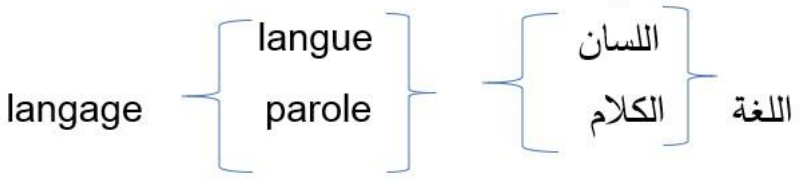

3. الجملة (La phrase)

هي "القول الموجز نحو: جاء زيد، استقم، زيد شجاع، محمد في البيت، وهذا التركيب الشكلي القصير المكوّن من موضوع ومحمول لا يشكّل نصٌّ متكاملا، الجملة كيان قواعيدي شكّي" (محمود عكاشة، 2014، ص 11)، بمعنى أنّ الجملة تتكون من عناصر لغوية شكلية لأنها " فكرة تامة أو تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة، أو نمط تركيبي ذو مكوّنات شكلية خاصة" (دي بوجراند، 2007، ص 167)

- لم يستعمل سبويه "الجملة" كمصطلح نحوي بل اقتصر على استخدام مصطلح "الكلام" فالجملة هو الكلام التّام الفائدة عند سبويه، حيث يعدّ " معيار حسن السكوت أحد معايير فهم الجملة إلى جانب المحتوى الدلالي للجملة الذي يعكس وجه حسن السكوت" (حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سبويه، ص 30-31).

لقد انتهج سبويه المنهج التفسيري الذي علّل من خلاله الظاهرة المدروسة قصد الكشف عن " مقاصد كلام العرب بوساطة الكشف عن طبيعة التحولات البنائية داخل الجملة والوظائف النحوية والمعاني المرادة من كل ذلك" (نفسه، ص 39)، وقد ركّز على (ينظر نفسه، ص 39):

- نظرية العامل (العلاقات بين مكونات الجملة)
- المحتوى الدلالي للجملة
- سياق بنية الجملة (السياق اللغوي أو سياق الحال (المقام))
- الأثر اللغوي للأعراف الاجتماعية في بناء الجملة وتماسك أجزائها والمفردات المختارة للاستعمال

فالبينة الصغرى في التركيب عند سبويه هي كل مركب إسنادي؛ المسند والمسند إليه، بمعنى أنّ" الجمل في مستوى التحقق الفعلي للكلام لا يقوم إلا على التركيب من كلمفين وهوما تمّ مراعاته في الأصول كلها" (نفسه، ص 141) .

- **البنية الصغرى = [المسند + المسند إليه]**، هو تركيب لا يكون كلاما إلا بتآلف المكونين (المسند والمسند إليه)، ويقول سبويه في باب المسند والسند إليه:" هذا باب المسند والمسند إليه، وهما لا يغني واحد على الآخر ولا يجد المتكلم منه بدًّا. فمن ذلن الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلابد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدٌّ من الآخر في الابتداء" (سبويه، الكتاب نقلا عن حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سبويه، ص 142)؛ ويقصد هنا سبويه ركني الجملة الاسمية والفعلية، وعليه فالجملة عند سبويه مفهوم بنائي، بوصفها قطعة من الكلام مستغنية بنفسها يمكن السكوت، أو انقطاع الكلام بعدها.
- يعرف إبراهيم أنيس الجملة بقوله:" إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر".

4. الملفوظ (Enoncé)/ الجملة (phrase)/ التلفظ (Enonciation)

الملفوظ هو نتيجة لفعل التلفظ وهو الكلام؛ أي هو الجملة التي أنجزت وتحققت في وضعية التلفظ، فالملفوظ عبارة عن نتيجة لعملية التلفظ (énonciation) أي ينتج من فعل كلامي تكون فيه الجملة مجسّدة ومستعملة من قبل متكلم خاص وفي وضعية زمانية ومكانية محددة.

لقد اعتبر "ديكرو" « O. Ducrot » الجملة كيانا لسانيا مطلقا بينما نظر إلى الملفوظ على أنّه عرض كلامي خاص، كونه الناتج الفعلي للجملة ضمن العملية التلفظية، فثنائية (الجملة

/الملفوظ) تقابل، من منظور "ديكرو" ثنائية (اللسان/ الكلام)، إذ تعتبر (العلم نور) جملة قبل الاستعمال وملفوظا بعد الاستعمال؛ أي الكلام الذي ينتجه المتكلم، فـ" تظل الجملة حاملة لدلالتها اللسانية أمّا المعاني التي تفهم منها فهي تتعلق بالملفوظات الناتجة عن تحقيق هذه الجملة" (عبد السلام اسماعيلي العلوي، التلفظ والإنجاز، www.alaljabriabed.net)، فالملفوظ هو رسالة شفهية ناتجة عن كل جملة، فلا وجود لملفوظ بدون تلفظ

- عرّف "هاريس" الملفوظ (الكلام) على أنّه " مقطع من التكلم الذي يقوم به شخص واحد، حيث قبله وبعده يوجد سكوت من قبل الشخص" (الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة):23 نقلا عن حسن عبد الغني جواد الأسدي، مفهوم الجملة عند سبويه، ص 190)
- التلفظ هو الممارسة الحقيقية للغة من قبل المتكلم، فهو عند " اسكومبر وديكرو (J.C Ansombre et Ducrot) " ذلك النّشاط اللساني الممارس من قبل المتحدث في لحظة الحديث، وأيضا من قبل المستمع في لحظة الاستماع" (J.C Anscombre, O.Ducrot, l'argumentation dans la langue, p18)
- ومن وجهة نظر تداوليّة تعتبر الجملة بنية خارج الاستعمال تناسب ملفوظات في مقام لا نهاية لعددها، وتقتضي عملية التلفظ المخاطِب والمخاطَب وسياق التلفظ المرتبط بالزمان والمكان
- في مستوى متجاوز للجملة يعتبر الملفوظ بمثابة مقطوعة لغوية تكوّن كلاّ منتميا إلى جنس خطاب محدّد: نشرة جوية، رواية، مقال في جريدة، محادثة، الخ. فهو إذن ضرب مكافئ للنّص.
- في تحليل الخطاب الفرنكوفوني كان للمقابلة التي أقامها ل.غوسبين بين الخطاب والملفوظ تأثير أكيدٌ:" الملفوظ هو متوالية الجمل المرسلة بين بياضين دلاليين وتوقفين في عملية التواصل؛ والخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من وجهة الآلية الخطابية المتحكمة فيه. وعلى هذا الأساس إذا ألقينا على نص نظرة من زاوية هيكلته {في اللسان} فإن ذلك يجعل منه ملفوظًا؛ ودراسة ظروف إنتاجه لسانيًا تجعل منه خطابًا".
- الملفوظ عند "بنفينيست" "أساس في بناء مفهوم الخطاب"، لأنّ الخطاب يعدّ ملفوظا إذا ما نُظر إليه من حيث آليات وعمليات اشتغاله في التواصل. فـ "مع الجملة نترك مجال اللسان بوصفه نظاما للعلامات، وندخل في عالم آخر، هو اللسان بوصفه أداة للتواصل، حيث التعبير هو الخطاب" (Benveniste, problème de Linguistique Generale, T1, p130)

1.4 تلفظ *(Enonciation)*

"تلفظ" مصطلح قديم في الفلسفة لكنه أصبح مستعملا استعمالا مطردا في اللسانيات، بداية من شارل بالي. ويمثل التلفظ قطب العلاقة بين اللسان والعالم: فهو يسمح، من جهة، بتمثيل الوقائع في الملفوظ، ولكنّه، من جهة أخرى، يمثّل في حدّ ذاته واقعةً وحدثا فريدًا في الزمان والمكان. ويقع الرجوع في الأعم إلى تعريف بنفنيست على أنّه" تشغيل اللسان بفعل استعمال فرديّ" في مقابل الملفوظ مقابلة الفعل المتميز عن منتوجه.

وعليه فالتلفظ هو الفعل الذاتي في استعمال اللغة، لأنّ غاية كل تلفظ هو التأثير في الآخر، لذا تفرض عملية التلفظ المتكلم والمستمع، حيث يهدف المتكلم إلى التأثير على المستمع (المتلقي) بطريقة ما

5. الخطاب/ النّص

1.5 النّص: هو " رفعُك الشيء، ونصّ الحديث، ينصه نصًا: رفعه وكل ما أُظهر فقد نُصّ وقال عمرو بن دينار المحدث: " ما رأيت رجلا أنّص للحديث من الزّهري؛ أي: أرفع له، و... وأصل النّص أقصى الشيء وغايته ... قال الأزهريّ: "النّص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها (ابن منظور، لسان العرب)

والنّص في كلام الأصوليين هو " ما لم يحتمل إلاّ معنى واحد، وقيل ما لم يحتمل التأويل، وقيل هو ما زاد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام من أجل المعنى" (الجرجاني، التعريفات، ص 237 نقلا عن (محمود عكاشة، تحليل النّص، ص 12)

يدلّ النّص على الشكل اللفظي المتماسك، وقد أُطلق النّص المكتوب أولا على النّصوص الدينية ثم صار عاما في كلّ النّصوص، فالنّص، إذًا، هو الشكل اللغوي الثابت منطوقا أو مكتوبا. "فالمحفوظ نص والمقروء نص، والمسموع نص عن قائله فيروى بلفظه فيكون نصا" (فولفجانج، مدخل إلى علم اللغة النص، ص 4-5)

والنّص عند يول وبراون (Yule et Brown) هو" التسجيل الكلامي لحدث تواصلي" (تحليل الخطاب، ص 228)، فالنّص إذًا، هو:

- الشكل الثابت المحفوظ
- يتكون من جمل تشكل نصًا يعتمد على علاقات الترابط
- " النّص سلسلة متماسكة من الأجزاء
- في صور جمل لها نظام فعّال وله مضمون عام ليس له عالم افتراضي كالجملة

لذا فالنّص شكل لغوي في موقف ما يتفاعل مع العالم في زمن انتاجه ويفسّر في ضوء بنيته اللغوية وظروف انتاجه، قد يكون النّص قصيرا في شكل جملة، وقد يكون طويلا في شكل رسالة أو عمل أدبي.

إنّ النّص مصطلح قديم في التراث العربي، حيث نظر إليه الباحثون على أنّه يتجاوز مفهوم الجملة مثلا: تعتبر الجملة (الله أحد) نصا باعتبار:

- اسناد النّص
- معناه
- أسباب نزوله
- زمنه
- ومن نزل فيهم

فالجملة إذًا، تكون نصا في ضوء ظروف انتاجها ومعناها وعناصرها.

2.5 الخطاب: ينطلق الباحثون من أنّ الخطاب "وحدة لسانية أعلى من الجملة" وأن يمكن إدماج الخطاب ضمن قائمة الوحدات المعترف بها تقليديا، المتمثلة في:

- الفونيم (الوحدة الفنولوجية)
- المورفيم (الوحدة المعجمية المورفولوجية)
- الجملة الوحدة التركيبية

سنوضح من خلال الجدول الآتي نوع الاختلاف القائم بين مصطلح **الخطاب** و**النّص** وفق آراء اللسانيين

الخطاب	النّص
- كلام موجه يتكون من مجموعة متشابكة من الجمل. - يتواصل به طرفان من أجل تحقيق المقاصد (القصد من التواصل) - وحدة متصلة متماسكة تعبّر عن غرض تواصلي - الخطاب مؤلف من مادة لغوية وأضافت الدراسات الحديثة الحركات والإشارات والرموز إلى الخطاب الشفهي (المنطوق) - الخطاب شكل من أشكال التواصل والتفاعل بين البشر - علاقة تواصلية بين المتكلم (المخاطِب) والمتلقي (المخاطَب) الذي يوجه له الخطاب - يقوم المتلقي بفك شفرات الخطاب - يصل إلى قصد المتكلم وغايته من خلال خطابه ومعطياته الدلالية - اللغة هي الأداة التي تشكّل الخطاب (الوسيط) الذي تنتقل من خلاله أفكار المتكلم إلى المخاطَب مدعمة ببعض التعبيرات غير اللغوية (ناطقات باللسان المسكون عنه)	- النّص = الخطاب (غريماس) - لا نجد في بعض اللغات مقابل للفظتين (Discours, Discourse) - النّص والخطاب كلمتان تستعملان للدلالة على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام، الطقوس المختلفة، والقصص والرسوم - لا تشمل بعض اللغات على كلمتي النّص والخطاب - وتستعمل بعض اللغات كلمة نص فقط، لذا لا وجود لاشكالية التمييز بينهما - النّص = الخطاب (السرديون : جيرار جينات، تودوروف وآخرون) الخطاب السردي= النّص السردي - النّص = الخطاب – ظروف أنتاجه

- الخطاب أكثر تفاعلا وتأثيرا من النّص المكتوب المجرد من سياقه الخرجي الذي أنتج فيه - الخطاب هو اللفظ التفاعلي الذي تتجلى فيه العناصر اللغوية والاتصالية والسياقية والمقامية - الخطاب= النّص + ظروف انتاجه -	